

## تفسير ابن كثير

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خالقه من قومه : { وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود \* وقوم إبراهيم وقوم لوط \* وأصحاب مدین وکذب موسى } أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات { فأمليت للكافرين } أي أنظرتهم وأخرتهم { ثم أخذتهم فكيف كان نكير } أي فيكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ؟ ! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه : أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعون سنة وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [ إن الله لي ملي للطالم حتى إذا أخذه لم يفلته ] ثم قرأ { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي طالمة إن أخذه أليم شديد } ثم قال تعالى : { فكأين من قرية أهلتناها } أي كم من قرية أهلكتها { وهي طالمة } أي مكذبة لرسلها { فهي خاوية على عروشها } قال الصحاح : سقوفها أي قد خربت وتعطلت حواضرها { وبئر معطلة } أي لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والإزدحام عليها { وقصر مشيد } قال عكرمة يعني المبضم بالجملة وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي الملجم والصحاح نحو ذلك وقال آخرون : هو المنيف المرتفع وقال آخرون : المشيد المنبع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة ولا منافاة بينها فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى : { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } . و قوله : { أفلم يسيرا في الأرض } أي بأبدانهم وبفكيرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار : حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال : أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن يا موسى اتخذ نعليين من حديد وعصا ثم سح في الأرض ثم اطلب الآثار والعبير حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا وقال ابن أبي الدنيا : قال بعض الحكماء : أحي قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكير وموته بالزهد وقوه باليقين وذلة بالموت وقرره بالفناء وبصره فجائ الدنيا وحذره صولة الدهر وفتش تقلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلو وعم انقلبوا أي فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال { فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها } أي فيعتبرون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور } أي ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصرة وإن كانت القوة البصرية سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدرى ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن

سارة الأندلسي الشنتريني وقد كانت وفاتها سنة سبع عشرة وخمسماة : .

- ( يا من يصيخ إلى داعي الشقاء ... وقد نادى به الناعيان الشيب والكبير ) .
  - ( إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى ... في رأسك الوعيان السمع والبصر ) .
  - ( ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل ... لم يهده الهاديان العين والأثر ) .
  - ( لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الـ ... أعلى ولا النيران الشمس والقمر ) .
  - ( ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان البدو والحضر ) .